صفات (سمات) شخصية المسلم

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من عباده الذين أصلح لهم سرهم وعلنهم وظاهرهم وباطنهم، واستعملهم فيما يحب، وجنبهم مساخطه وما يأبىٰ.

كما أسأل المولىٰ جلَّ وعلا أن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر.

وإني مسرور بهذا اللقاء في هٰذه الليلة لتناوُل بعض ما يهمّ المسلم بصفته مسلمًا؛ قد أسلم لله جل وعلا وجهه وقلبه وتخلىٰ عن هوىٰ نفسه إلىٰ ما يحبُّ الله جل وعلا ويرضىٰ.

ولذلك فإن أعظم المطالب التي يبحث عنها المسلم ماذا يريد الله جل وعلا منه، وما هي صفة المسلم التي يحبها الله جل وعلا ويرضاها.

ولا شك أن الكتاب والسنة مملوءان من الصفات التي يجب علىٰ المسلم -أو يستحب- أن يتحلىٰ بها ليكون محبّا لله جل وعلا، ولكي يحبه الله جل وعلا ورسوله ﷺ.

نجمل ذلك في أمور ، ونقدم قبلها بمقدمة يسيرة:

أن هٰذا الزمن الذي نعيش فيه نرىٰ أن الأمور اختلطت كثيرا، فلم يعرف الكثير ما الذي يجب عليهم، الأمور مدلهمة، ما بين نقص في الدين وقلة في الرغبة فيه، علىٰ مستوىٰ الأمة، وما بين إقبال عند طائفة من المسلمين علىٰ الدين، ورغبة في الخير، واستجابة لله جل وعلا ولرسوله ﷺ.

وكان ما بين هٰذا وهٰذا ظهرت أمور نعرف منها وننكر، منها ما نعرف حُسْنَه في الشرع، فنؤيده، ونعين عليه، ونُسهم في إنجاحه، ونتعاون علىٰ البر والتقوىٰ في شأنه.

ومنها أمور لا يعلم المسلم حُسْن مطابقتها للدين الصحيح، فلذلك ينبغي أن نتطرَّق لهذا الموضوع، وهو شخصية المسلم في ظلِّ هذه الظروف، وفي ظلِّ هذه التقلُّبات الشَّديدة ما بين غلوٍّ في الدين، وانحلال من الدين.

الأول: من أعظم صفات المسلم التي تتميز بها شخصيته **الإخلاص**، فإن الإخلاص نزع الهوىٰ من أن يكون مؤثرا في التصرفات، وهذا الأمر عزيز، لكن لا بد منه، لأن ما نفعله من أمور الدعوة، أو من أمور الخير، أو الغيرة علىٰ الدين، أو ما نأتيه من أعمال الإحسان والبر، ونحو ذلك، هٰذه لا شك أنها من دين الله جل وعلا، وإذا كانت من الدِّين فشرط قَبُول ذلك أن يكون هناك الإخلاص لله جل وعلا في هذا الدين.

قال الله جل وعلا : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾[الزمر] ، وقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾[الزمر] ، وهذا شرط، فلا يمكن أن ينفعنا التدين، أو ينفعنا الإقبال إلا بأن نُوطِّن القلوب علىٰ الإخلاص.

وإذا كان الأمر كذلك، فالإخلاص المطلوب في شخصية المسلم؟

الإخلاص المطلوب هو أن يكون القلب خالصًا من رؤية غير الله جل وعلا في الأعمال، لأن الإنسان

بطبيعته وفطرته خلقه الله جل وعلا ظلومًا جهولا، قال الله جل وعلا في الأمانة : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب]، لهذا قال أهل العلم: الأصل في الإنسان أنه ظلوم جهول، كما قال الله جل وعلا ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾.

﴿ظَلُومٗا﴾ بمعنىٰ أنه عنده رغبة في التعدي، والزيادة عن العدل في الأمور، سواء كان في التصرفات الفعلية أو القولية، أو في الأحكام.

و﴿جَهُولٗا ﴾ عنده جهل، فإذا انبنىٰ علىٰ هذا الظلم جهل، فإنه حينئذ يكون عمله سيئًا.

لذا فإن من صفة المسلم أن يكون مخلصًا في طلب الحق، وطلب ما عند الله جل وعلا، فالإخلاص هو الذي يخلصه من صفة الإنسان الملازمة له، وهي الظلم والجهل، فإنه إذا رجع إلىٰ نفسه اجتهد أن يبتعد في كل تصرفاته عن الجهل، ويبتعد عن الظلم.

وإذا كان كذلك فابتعاده عن الجهل يُحَتِّم عليه في إخلاصه لله جل وعلا أن يحرص علىٰ العلم النافع الذي يجعل أعماله موافقة لمراد الله جل وعلا ومراد رسوله ﷺ، ويحرص علىٰ معرفة الشرع، حتىٰ يتجنب الظلم أو التعدي علىٰ أحد في الأقوال أو الأفعال.

واليوم ترىٰ أن كثيرًا من الأمور قد صار فيها تجاوز، وسبب ذلك قلة الإخلاص، وليس زيادة الإخلاص، كون المسلم يكون عنده غيرة زائدة وحب للخير زائد لا يعني أن يكون مخلصا في نفسه؛ لأنه قد يكون عنده غيرة لٰكِن ضعف إخلاصه جعله يسيطر عليه الظلم أو الجهل، لهذا كان من أعظم أسباب تحقيق الإخلاص هو عدم رؤية غير الله في الأقوال والأعمال، وأن يكون حريصًا علىٰ تحقيق مراد الله، وهذا مما يرفع عنه صفة الإنسان الملازمة له -المسلم والكافر عامة- وهي الظلم والجهل.

الجهل لا بد من العلم لمواجهته.

والظلم لا بد له من أن يوطن الإنسان نفسه علىٰ العدل.

واليوم نرىٰ أن كثيرًا من التصرفات العملية فيها خير، وكثيرًا من التصرفات العملية فيها ظلم، وهذا بشكل عام في الناس.

كذلك في الأقوال، فنرىٰ اليوم القول وكأنه ليس أعظم ما يدخل الناس النارَ اللسانُ، سئل النبي ﷺ عن أعظم ما يدخل الناس النار، فقال: «اللسان والفرج». اللسان شأنه عظيم، واليوم نرىٰ الأحكام علىٰ الأوضاع، علىٰ الأشخاص، علىٰ العلماء، علىٰ الدول، علىٰ المسلمين، علىٰ الدعاة، علىٰ الجماعات، علىٰ الجمعيات الخيرية ... أشياء كثيرة نرىٰ فيها مجازفة في القول، بحيث إنه يَقِلُّ الحِلم والأَنَاة والرِّفق والعدل في مثل هٰذه الأحكام.

ترون اليوم في الإنترنت أشياء كثيرة، لا يعلم أصحابها حقيقة الأمور، وهم مع ذلك عندهم مجازفة في الأقوال والأعمال، وهذا لأجل سمة الإنسان الملازمة له، وهو أنه يحب أن يتعدىٰ، فيكون ظلومًا جهولا.

لذلك الإخلاص وهو طلب ما عند الله ، طلب رضا الله جل وعلا بموافقة الشرع، أما أن تطلب رضىٰ الله جل وعلا بما تحلو لنفسك، فهذا كل أحد يدَّعيه، ولطلك قال بعض علماء السلف: ليس الشأن أن

تحب الله ولٰكِن الشأن كل الشأن أن يحبك الله.

ليس الشأن أن تحب الله فتقول : أنا أحب الله جل وعلا فسأعمل كَيْت وكَيْت. لا، هذه مسألة كلٌّ يدعيها في جميع الملل والنِّحَل والفِرَق الإسلامية، وغير الإسلامية والديانات ... إلىٰ آخره، كل يقول أنه يحب الله، وربما بكوا إذا تذكروا الله، لكن هذا ليس هو الشأن، بل الشأن أن يحبك الله بموافقة أمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ، وهذا هو حقيقة الإخلاص، أن تتخلص من رؤية غير الله جل وعلا في الأعمال، وفي أمور الدعوة، وأمور الأحكام، وأمور العمل، وأمور الصِّلات.

فإذا وطَّن الإنسان نفسه علىٰ الإخلاص فإنه سيكون منتِجًا.

الأمر الثاني من سمات شخصية المسلم التي هي سبيل لِقُوَّة المسلمين في هذا الوقت المعاصر أن يكون المسلم حَسَن الظَّنِّ بربِّه جل وعلا، حسن الظن بالله جل وعلا لن يضيع دينه، ولن يُمَكِّن غير المسلمين من المسلمين، بل حُسن الظن بالله جل وعلا يجعلنا نوقن بأن هٰذا الدين منصور، وأن الإسلام غالب مهما حصل.

وإذا نظرنا إلىٰ سيرة النبي ﷺ وجدنا أنه – عليه الصلاة والسلام – وهو الرسول الخاتم المؤيَّد من الله جل وعلا بالمعجزات بالآيات والبراهين، قد ابتلاه الله جل وعلا بأنواع من الابتلاء فصبر واحتسب، حتىٰ إنه حُصِرَ في شِعْبٍ سنة كاملة، حتىٰ كان الصحابة معه يأكلون أوراق الشجر، لا يجدون طعاما.

فإذًا وجود هذه العداوة من المشركين والكفار للمؤمنين قديمة، قال الله جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الفرقان]، كفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا، هو الذي يهدي لو طلبنا الهداية من عنده علىٰ وَفْقِ العلم الصحيح، وكفىٰ به نصيرًا لو أحسَنَّا الظن به والتوكل عليه جل وعلا.

ولهذا ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال : «قال الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي فَلْيَظُنَّ بي ما شاء ». ونحن نجزم ونوقن بأن الله جل وعلا لن يضيع دينه، ولن يضيع مِلَّتَه، ولن يضيِّع المسلمين، بل العاقبة للمسلمين، والذي شهد بذلك هو ربُّ العالمين، قال الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[الفتح].

فإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا يعطي النفس أنواعا من الطمأنينة، وأنواعا من عدم الاندفاع، لأنه إذا أحسنت الظن بالله، وأيقنت بأن وَعْدَ الله جل وعلا حق، فلن يكون عندك استعجال للأعمال، أو النتائج، لن يكون عندك اضطراب مما يحمل بعض المسلمين – وخصوصا الشباب – إلىٰ أن يعملوا بعض الأعمال المنكرة.

والسبب في ذلك عدم وجود الصبر الواجب، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم]، لاحظ أن الآية جمع الله جل وعلا فيها – وهي آية مكية – بين أمرين قال: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ وقال: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾، لأن سبب عدم الصبر هو الاستخفاف، الذين لا يوقنون من الكفار والمنافقين يستخفون أهل الإيمان، يستخفون أهل الإسلام حتىٰ يعملوا أعمالا ليست في المصلحة، بل هي خلاف الصبر.

لذلك المؤمن يعمل العمل علىٰ وفق المصلحة المرجوة، التي توافق الحكمة، والمصلحة هي أن تتحقق الغايات المحمودة بِرُجْحَان علىٰ المفاسد.

إذا تحققت غايات محمودة، والمفاسد ضعيفة، أو ملغاة، فهنا تتحقق المصلحة ويتحقق أمر الله جل وعلا، أما إذا كانت المفاسد أكثر في الأعمال والتصرفات، فهذا – بلا شَكّ – ليس مرادًا في الشرع وليس مطلوبًا.

ولذلك قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في رسالته في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» : إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد. فإن الأمر والنهي – وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة – ينبغي أن ينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به، بل يكون مُحَرَّما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد إنما يكون بميزان الشريعة.

السمة الثالثة من سمات شخصية المسلم التي دلت عليها الأدلة أن المسلم دائمًا طيب، المسلم طيب يحب الطَّيِّب من الأقوال والأعمال والأشخاص والأحوال، والطيِّب هو الذي طاب، فلم يخالطه سوء، أو ضعف ذلك عنده.

ولذلك يقال: طعام طيب، ويقال : إنسان طيب، ويقال : رائحة طيبة، وورد هذا علىٰ لسان الصادق المصدوق ﷺ، كما في حديث مسلم، حيث قال: «أيها الناس إن الله طَيِّب لا يقبل إلا طيبًا».

المسلم من صفته الملازمة له – لما معه من الإيمان والتوحيد والإخلاص – أنه طيب، فإذا أتيت إلىٰ قوله وجدته قولا طيبا، هو لا يذهب إلىٰ الأقوال السيئة، عملا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[الإسراء:٥٣]، فإذا نظرت في ألفاظه وجدت أنه لا يأتي بلفظ يمكن أن يدخل الشيطان منه، فيؤجج النفوس، ويفرق الناس، ويجعل المسلمين يعادي بعضهم بعضا، حتىٰ علىٰ مستوىٰ مسجد صغير، فضلا عن مستوىٰ الأمة.

المسلم طيب في أقواله وأعماله، ولا تظنن أن قلة الأقوال والأعمال لا تؤثر، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ﴾[المائدة:١٠٠].

ولو أعجبك – يعني ولو هَالَكَ – كثرة الخبيث، فليست المسألةُ مسألةَ قوة أعمال، وكثرة أعمال، وكثرة أقوال، المؤثر في الناس – بإذن الله تعالىٰ – هو ما طاب من الأقوال والأعمال.

ولهذا تجد أن المسلم الطيب طيب الأقوال، طيب الأعمال، لا تجد عنده من الأقوال ما يسيء له في دينه، ولا ما يسيء إلىٰ غيره من المسلمين، أو غيرهم من الاعتداءات بغير وجه حق، أو العمل بغير وجه حق.

لذلك تجد أن المسلم طيب في علاقته بكل من حوله، إذا أتىٰ البيت فهو طيب في كلمته، طيب في أعماله، طيب في علاقته بوالديه، في علاقته بأهله، ما يرىٰ نفسه أفضل، لأن بعض الناس قد يأتي في ذهنه أنه ما دام مستقيما علىٰ دين الله جل وعلا فهو أفضل من الناس، وهذا من الشيطان، الشيطان قد يعجز أن

يستدرجك إلىٰ معصية، فيأتيك من جهة الإعجاب بالنفس، وازدراء الآخرين وأنت لا تعلم الحال.

ولذلك من طِيب المسلم في أقواله وأعماله، وطِيب قَلبِه أن يكون مُخْلصًا مُخَلِّصًا نفسه من رؤية الذات، يصبر علىٰ الأذىٰ، فإذا قدح فيه أحد، أو تكلم فيه بما لا يليق، أو أساء الظن به، أو قال فيه ما يسوؤه صبر وعمل الذي ينفع، لأن الذي ينفع – ولو كان قليلا – هو الذي يبقىٰ بإذن الله جل وعلا.

السمة الرابعة من سمات المسلم – كما يقال بلغة العصر – أنه إيجابي، وليس بسلبي، ومعنىٰ إيجابي أنه مصلح وليس بمفسد، الله جل وعلا وصف المنافقين بأنهم يفسدون ولا يصلحون، لكن المسلم يُصْلِح ولا يفسد، وهذا معنىٰ الإيجابية في حياة المسلم.

المسلم يكون إيجابيا بمعنىٰ أنه إذا انفتح باب خير أعان عليه، دائمًا أعماله ليست سلبية، بل هي أعمال إيجابية خيرية، لا يضر مسلما، وليس انطوائيًّا يقول: لا دخل لي بشيء، وليس لي علاقة بما يحصل. لكن من صفته أنه إيجابي، يعين علىٰ الخير، ولا يعين علىٰ الشر، ولا يدخل في مجال يكون معه العمل الذي يعمله خبيثًا أو سيئًا.

فإيجابية المسلم هذه ضرورة، إيجابية المسلم في أقواله وفي أعماله وفي تصرفاته وفي علاقاته وفي آرائه بأن يكون أَرْيَحِيًّا كما يقال، عنده أَرْيَحِيَّة، صَدْره واسع، يرىٰ أن الخير كثير، وأنه يؤثر هنا، ويؤثر هنا، ويؤثر هنا.

إذا كانت النفس سلبية، يفكر تفكيرا سلبيا، لا يرىٰ خيرا إنما يرىٰ كثرة الشرور، إذا نظرنا النظرة العامة هل المسلم ينظر إلىٰ كثرة الشر أو ينظر إلىٰ كثرة الخير فيما يتأثر به؟ أو ينظر إلىٰ كثرة الشر فيقعد، أو يتصرف تصرفات غير محمودة؟

نرىٰ أن سنة الأنبياء والمرسلين هي أنهم كانوا ينظرون إلىٰ الخير، فيحملهم علىٰ الإقدام والتضحية والعمل والبذل. فهذا نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، شرك؛ لكنه – عليه السلام – عنده الفأل والأمل، عنده الإيجابية، حتىٰ جاء أمر الله، فهل قعد عن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا ؟

إن أحدنا قد يمكث في الدعوة عشر سنين، أو عشرين سنة، ولا يتأثر به أحد، فيقول: حسبي هذا. ثم يمشي مع الناس فيما هم فيه، أو يقول: أنا غير نافع. فيذهب إلىٰ تصرفات كيت وكيت وكذا وكذا.

لكن المسلم ليس كذلك، المسلم إيجابي في نظرته للأمور، يرىٰ الخير ويوسِّع نظرته للخير، حتىٰ يكون متفائلا فيعمل أكثر، لأن الإشكالية إشكالية نفسيه، لأنك إذا رأيت أن الشر كثير، وأنه يحاصرك في كل مكان، فإنك ستصاب بشيء من الضغط النفسي، وهذا شيء يقع علىٰ الإنسان في بعض الأحوال، ولهذا جاء ميدان الصبر، وجاء حسن الظن بالله، جاءت عبادة التوكل، كل هذه لتسلِّي المسلم، وتفتح له باب الخير الواسع.

إذا نظر إلىٰ الشر، قال: هٰذا الشر كثير، إذن كيف المخرج، أنا أعمل كذا وكذا، يصير الذي يصير، أنا وبعدي الطوفان، هٰذا ليس تفكيرا دينيا شرعيا إسلاميا، إنما هٰذا تفكير الهوىٰ والخروج من المشكلة أخرىٰ علىٰ الإنسان في دينه.

إذا نظرنا إلىٰ النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين كيف كان عمله في مكة ؟ قال الله جل وعلا له: ﴿ قُلْ

مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾ ﴾[ص].

وعليك أن تلاحظ الآية في آخر سورة ص ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ ﴾ كان ﷺ محاصرا ومُضايقا عليه، تكالب عليه المشركون، يسعون في أذيته ليل نهار، لا يكلون ولا يملون من ذلك، ثم هو يقول لهم كلمة واضحة، حقيقة واضحة ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ ﴾ يعني أنا ما أريد أجرا، ما أريد دُنيا، ما أريد أن تعطوني شيئًا كِفَاء هذه الدعوة ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ لست مُتكلِّفًا مُتَنَطِّعًا، وإذا كنتم أنتم في شك من هذا الأمر فسيأتيكم صدق دعوتي ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾ وبعد حين: هذه كانت سنوات، الله أكبر، كيف كان الأمر علىٰ هذا النحو، سنوات وتحقق أمر الله جل وعلا في مكة ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾.

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ للنبي ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَىٰ أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا. قَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ ». الحظْ هنا قوله: « لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ »، ثم اطْوِ صفحة السنين وائت إلىٰ صُلح الحُدَيْبِيَة حيث قال عمر: يا رسول الله أَلَسْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ الْبَاطِلِ ؟ قَالَ: « بَلَىٰ ». قال: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي».

فالنبي ﷺ لما عقد الصلح كان ظاهرُه الدَّنِيَّة، لكن لو أحسنا النظر لوجدنا ذلك فتحا، كما سماه الله ﷻ، والْحَظْ فترة الضعف في مكة وموقف النبي ﷺ من ذلك، حيث قال: «لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ». القوة في المدينة، النبي ﷺ انتصر علىٰ المشركين، انتصر عليهم في بدر، وانتصر عليهم في أُحُد، وانتصر عليهم في الأحزاب، حتىٰ غزوة أحد كانت نصرًا، وإن كان ظاهرها المصيبة للمسلمين، نعم هي مصيبة، ولكن كانت في حقيقتها نصرا، لأن هناك مصلحة.

المقصود من هٰذا أن النظرة دائمًا إذا كانت إيجابية واسعة في الخير، فإنها تحمل علىٰ العطاء والبذل وانتشار الخير، أما إذا كانت ضَيِّقة فسيتصرف الإنسان تصرفات غير سليمة تضر به وبمن حوله، وفي النهاية سيتأكد أنه هو الذي كان مسؤولا عن ذلك.

لهذا نقول: إن كثيرا -ليس الأكثر- من الناس يحتاج إلىٰ أن يكون منشرح الصدر، إيجابيا في نظرته للخير، فبهذا يتسع مجال الخير. والخير إذا تَعَاوَنَّا عليه وَسَّعْنَاه، حتىٰ ينتشر ويكثر ويغلب بإذن الله تعالىٰ.

من صفات المسلم الملازمة لشخصيته، وهي الأخيرة – لأن الوقت لا يتسع لأكثر من هذا – أنه صاحب حُبٍّ لله جل وعلا ولرسوله ﷺ ولأهل الإيمان، قال الله جل وعلا في سورة المائدة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾، آيتان عظيمتان، هٰذه الولاية مقتضياتها الولاء لله جل وعلا، والولاء لرسوله ﷺ، والولاء للذين آمنوا.

الولاء لله: الإخلاص له، أن تعطي الولاء – يعني المحبة والنصرة والقوة – لله جل وعلا، يعني لدينه، ولأمره، ولكتابه.

لرسوله ﷺ: لدين الرسول ﷺ: لسنته عليه الصلاة والسلام، ولأمره ولنهيه.

للذين آمنوا: بالمحبة والموالاة والنصرة.

وهنا يقول أهل السنة والجماعة في عقائدهم: إن الولاية بمعنىٰ المحبة والنصرة تتبعض، يعني تزيد بحسب مقتضىٰ الإيمان، وإذا كان الأمر كذلك فليس عندنا –كقول بعض أهل الفرق– أن الولاء شيء واحد، إما أن نوالي هذا أو نعاديه. هذا غير موجود في عقيدة أهل السنة والجماعة، وإنما هي متبعضة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الإيمان».

ومتبعضة يعني أنها تزيد وتنقص، تجد أن محبتك لفلان محبة إيمانية، لكنها زائدة لما هو عليه من الإيمان، وآخر له محبة إيمانية موجودة، لكن بشكل أقل من الأول.

فإذًا لا يوجد بين المؤمنين كراهية لا حب معها، لا ضغائن، ولا أحقاد، ولا حسد، بل يوجد حب، لكنه بدرجات مختلفة، بحسب طاعة المرء لله، فكلما ازدادت طاعة العبد لله ازداد حبنا له، وإذا قَلَّت قلت محبتنا له بذلك.

فإذا كان الأمر كذلك فما الذي يُخَلِّص النفس من الغل ؟ الجواب في قول النبي ﷺ: « ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ : إِخْلاَصُ الْعَمَلِ للهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ ».

يعني لا يكون في قلب من تحققت فيه هذه الصفات غِلٌّ لامرئ مسلم، وهي أن تخلص العمل لله، ثم تناصح كل مسلم، ثم تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

هذه الثلاث مهمة، فهي التي تقضي علىٰ هذه الأمراض.

الإخلاص مهم جدًّا، لأن الإخلاص يجعل المرء متخلصًا من هواه فيسعىٰ بإيجابية.

لكن هل يشترط لكي تحب المؤمن أن لا يكون عنده سيئات ؟ هل هذا من شرطه؟ الجواب : لا، ليس هذا من شرطه، لأنه ما من مسلم إلا وعنده حسنات وسيئات.

فإذا كان الأمر كذلك، فلا يُتَصَور وجود إنسان، سواء كان مسلمًا عاديًا، أو كان إمام مسجد، أو كان داعيًا، أو كان مسؤولا في إدارة، أو كان حاكمًا، أو كان أو كان، أنه مسلم بلا سيئات، هذا تصور خيالي لا يدخل في ذهن صاحب التفكير الصحيح.

إذًا فهناك أمور تجعل المسلم يتخلص من هذه الأمراض، ولذلك إذا كان دائمًا يُغَلِّب الحسنات علىٰ السيئات، لأن الحسنات أعظم أثرا.

والكلام في هذا يَجُرُّنا إلىٰ مسألة اختلف فيها أهل العلم، وهي : هل إتيان المأمورات أعظم، أم اجتناب المنهيات ؟

الصحيح الذي عليه المحققون من أئمة الإسلام –وهو الموافق للدليل– أن شأن الأوامر أعظم من شأن النواهي، لأن الله جل وعلا يحب من عبده أن يمتثل لأوامره وأن يجتنب نواهيه، لكن بالأمر سجد الملائكة، وإبليس لم يستجب للأمر فكان مغضوبًا عليه إلىٰ يوم الدين، وبالنهي عصىٰ آدم في الجنة فتاب الله جل وعلا عليه: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[طه] الأوامر أعظم.

فإذا كان الأمر كذلك فلينظر المسلم إلىٰ أحوال من حوله، فإذا كان أخوه المسلم ملتزما بالأوامر الشرعية، فهذا مما يزيد مكانته في النفس. وإذا كان في مسألة النواهي عنده بعض المقترفات، فعليه أن

يدعو الله له، وأن ينصح له، كما أمر الله جل وعلا.

فشأن تنفيذ الأوامر، والامتثال لها، والاستجابة للفرائض أعظم من اجتناب المنهيات، وكلها مهمة، فهذه فرائض، وهذه محرمات، وكلها في الدين منزلتها عظيمة، لكن من حيث الجنس، و يترتب عليه بعض الأحكام الفقهية.

إذًا في هذا الزمن نحتاج إلىٰ أن نعيد التفكير، المسلم دائمًا ينظر إلىٰ ما فيه نفع، يحرص أن يكون طيبًا في أقواله وأعماله، وألا يكون أداة لهوىٰ نفسه والشيطان، بل يكون مُسْتَعْمَلا بشرع الله جل وعلا ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا.

هٰذه بعض الصفات والحديث لو استطردنا فيه لاقتضىٰ صفات كثيرة.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد.

اللّٰهمَّ وفقنا لما تحب وترضىٰ، اللّٰهمَّ أعنا علىٰ الحق والهدىٰ، واجعلنا من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، اللّٰهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدا، إنك أكرم مسؤول.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

المقدم: نسأل الله ﷻ أن يجزي معالي الشيخ خير الجزاء علىٰ هٰذه الكلمات الطيِّبات النيِّرات، نسأل الله ﷻ في ميزان حسناته ورفعة في درجاته كما نسأله أن يبارك له في وقته وفي علمه.

الآن ننتقل لجمعية إحياء التراث بالكويت فليتفضلوا في طرح الأسئلة.

سؤال (١): هل الفرح بثناء الناس ومدحهم يُخلُّ بالإخلاص؟

الجواب: الحمد لله وبعد، فرح الإنسان وسروره بثناء الناس عليه؛ علىٰ عمل قد قام به، هٰذا «من عاجل بشرىٰ المؤمن» كما أخبر بذلك نبينا ﷺ.

فإن ثناء الناس علىٰ الإنسان:

- إما أن يكون قبل الأعمال.
- وإما أن يكون بعد الأعمال الصالحة.

فإذا كان قبل العمل فعمل لأجل الثناء فهٰذا هو الذي يسمىٰ سُمعة، «نعوذ بالله من الرياء والسمعة»، تسميع يحب أن يعمل عملا يسمع به الناس ويثنون عليه به، حامله وباعثه علىٰ العمل هو ثناء الناس، هٰذا قاح في الإخلاص.

وأما إذا كان بعد العمل عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فحمدوه وأثنوا عليه، هٰذا لا بأس به، بل هو من عاجل بشرىٰ المؤمن ولو فرح بها.

وهنا سؤال معروف علمي في هٰذه المسألة وهي: أن المسلم يكون مخلصا؛ لٰكن الثناء عليه يبعثه علىٰ العمل أكثر، يشجعه، وإلا فهو سيعمل العمل؛ لٰكن الثناء عليه يشجعه علىٰ المضي فيه وفي غيره، فهل مثل هٰذا يقدح فيه؟

نقول: هٰذا بحسب الحال، إذا كان الثناء عليه أو حمله علىٰ زيادة العمل هو لأجل الثناء وحده فهٰذا مناف للإخلاص لٰكن إذا شجعه وزاده في عمل ظاهري نفعه عام، فهٰذا لا بأس به ولا يدخل في المنهي

عنه؛ وذلك لأنَّ النبي ﷺ دلَّ علىٰ ذلك في ذكر بعض آثار الأعمال في الدنيا كقوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»، فرتب علىٰ العمل الصالح بعض الآثار في الدنيا، وشجع بناء علىٰ هٰذه الآثار قال: «من سره أن يسبط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» فدل هٰذا علىٰ أنه لا يؤثر في هٰذا الصنف.

سؤال (٢): أحسن الله إليكم، تعلمون بارك الله فيكم أن أمة الإسلام تكالبت عليها الأمم.. فما سبل المدافعة في نظركم وبارك الله فيكم؟

الجواب: أولا المدافعة سنة الله وهي ماضية، وهو أن الله جل وعلا يدفع هؤلاء بهؤلاء لتتحقق حكمته، ويظهر مراده وتقديره الكوني.

المدافعة سنَّة ماضية، ولذلك هي وسيلة وليست غاية، تكون بمقتضىٰ تحقيق أحكام الشرع، ولهٰذا فلا ننظر إلىٰ وجود المدافعة بأننا نوجدُها لأجل أنها حكمة الله؛ بل هي ستوجد متىٰ ما أمر الله جل وعلا ومتىٰ ما تحقق في الشرع، يعني الأحكام الشرعية.

مثل الجهاد، الجهاد من المدافعة إذا جاء وقته بشروطه الشرعية المعتبرة صار مدافعة، إذا وجد اليوم في الأرض في مكان ما بشروطه الشرعية المعتبرة صار مدافعة، وهكذا.

لكن ما يعمل الشيء بدون توفر الشروط لأجل أنه يدفع ويكون مدافعة لتحقيق مدافعة التي هي حكمة الله جل وعلا.

لهٰذا نرىٰ أن المدافعة ليست بشيء واحد، وإنما هي بتحقيق الشرع، فإذا كان الشرع أمر بتقوية المسلم في نفسه في الإخلاص والعبادات والأخلاق وقوة المسلم في نفسه، فهٰذا من المدافعة.

إذا أمر الله جل وعلا بالعم النافع والعمل الصالح وسعوا اجتهدوا في العلم، هٰذا من المدافعة.

إذا أمر الله جل وعلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحققت شروطه فعمل بها المسلم، فهٰذا من المدافعة.

إذا وجدت شرائط الجهاد قام بها المؤمنون تحت راية ولي الأمر، فإنه مدافعة وهكذا.

فإذن المدافعة وسيلة تتحقق متىٰ ما تحققت الأحكام الشرعية المنصوص عليها.

سؤال (٣): هل دخول أهل العلم إلىٰ وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، مطلوب أم الأفضل الابتعاد لبعض المنكرات من البدع فيها؟

الجواب: هٰذا يختلف بحسب الحال، فإذا كان الأثر أبلغ وإيصال البيان الشرعي وإيصال كلمة الله جل وعلا متحقق؛ فإن ترك هٰذه الوسائل لا يسوغ ولا يجوز؛ بل يجب أن نكون إيجابيين، فنكثِّر الخير ونقلل الشر بحسبه.

ومعلوم بعض هٰذه الوسائل فيها مفاسد كثيرة، فيها الحمد لله من الوسائل ما مكن معه أن تبلغ رسالة الله جل وعلا، وأن يقرر الشرع، وأن يعطىٰ البيان الذي ائتمن الله جل وعلا أهل العلم عليه بما يستطيعه المرء.

والأصل في ذلك أن النبي ﷺ كان يغشىٰ المشركين في أنديتهم، يبلِّغهم دين الله كما ثبت ذلك.

فإذا كان النبي ﷺ بل الرسل جميعا يأتون المشركين في أنديتهم لتبليغ دين الله جل وعلا فهٰذا من جنس ذلك.

ولٰكِن المقصود أن ينتبه إلىٰ أن المصلحة تتحقق، أما إذا كان ليس هناك مصلحة أو أنه سيحسب الأمر علىٰ الداعية، أو العالم أو كذا دون مصلحة ظاهرة في الأمر أو أنه سيكون هناك تأثيرات أخرىٰ، فالأمر يكون بحسبه.

لٰكِن الأصل في ذلك أنه مطلوب شرعا وليس فقط أنه مأذون به، أو أنه لا بأس به، بل هو مطلوب لأنه من الدعوة إلىٰ الله جل وعلا ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سؤال (٤): فضيلة الشيخ عفا الله عنكم، الآن أذن لصلاة العشاء عندنا فيسأل الكثير عن الذهاب إلىٰ المسجد لأداء الصلاة، أو البقاء وإقامة الصلاة في هٰذا المكان وهو مقر الجمعية بعد انتهاء المحاضرة والاستفادة من الأسئلة، فما توجيهكم بارك الله فيكم؟

الجواب: أولا الصلاة في المساجد واجبة، وحضور مجالس العلم هٰذه سنة أو مستحب، ما تتركون الواجب لمستحب بارك الله فيكم.

سؤال (٥) : ما أهم الضوابط الشرعية في إقامة الأحلاف بين المسلمين وغير المسلمين؟

الجواب: هٰذا إذا جئتكم في الكويت إن شاء الله جاوبتكم عليه.

سؤال (٦): كثر الكلام هٰذه الأيام حول الخوض في مسألة من مسائل الدعوة، وهي هل الدعوة وسائلها اجتهادية أو توقيفية، وربطها هٰذه المسألة بما يسمىٰ بالاعتصامات والمظاهرات، ما القول الصحيح في هٰذه المسألة؟ وهل الاعتصامات والمظاهرات من وسائل الدعوة أو لا؟

الجواب: الاعتصام والمظاهرات هٰذه وسائل إما للبيان أو لإنكار المنكر؛ يعني في نفسها.

ومعلوم أن وسائل البيان وإنكار المنكر وما أشبه ذلك إذا كان المقتضي لفعلها قائما في عهد السلف، ولم يعمل به السلف، فنعلم أنه مطَّرح في الدين؛ لأن قاعدة المحدثات والبدع التي لا تنخرم أن العمل الذي يدخل في العبادة، إذا كان المقتضي لفعله قائما في عهد السلف الذين شهد الله جل وعلا لهم بالخيرية والنبي ﷺ «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» فلا أدري ذكر ثلاثة قرون أو أربعة، إذا كان السبب والمقتضي قائما، ولم يعملوه، نعلم أنه محدث يدخل في عموم قوله: «وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

إذا نظرنا إلىٰ حال السلف في حال الاختلاف خاصة في أواسط الدعوة الأموية والعباسية ونحو ذلك حصلت أمور كثيرة، فلم يرشد أحد من الأئمة إلىٰ هٰذا النَّوع، ولم يتجمعوا لا في سوق ولا في مسجد ولا بنحوه باعتصام ولا بمسيرات مع أنهم سيروا الجيوش بعضهم خرج علىٰ الوالي بنحو نوع من الخروج ونحو ذلك؛ لٰكِن هٰذه الوسيلة لم تُعمل.

لذلك نعلم أنها مع دخولها ظاهريا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بوسيلة من وسائل البيان أو الدعوة أو تحقيق الذات؛ لٰكِن نعلم أنها كانت مطَّرحة مع القيام المقتضي لفعلها، فدل علىٰ أنها محدثة وبدعة.

إذا كانوا يعملونها لأجل الدين، فهي محدثة وبدعة، وهي أقل أثر من أمور حكم عليها العلماء بأنها محدثة وبدعة في أمور سهلة مثل الذكر الجماعي، نتجمع لنذكر الله جل وعلا، هٰذا ظاهره خير ولا فيها شر، يتجمعون يذكرون الله نهىٰ عنها أئمة السلف قالوا: لأن المقتضي من هٰذا الفعل قام في عهد النبي ﷺ وفي عهد السلف ولم يعملوه مع قيام المقتضي له، وارد أنهم يجتمعوا، فلما لم عملوا ذلك ويتعبدوا الله به دل علىٰ أنه محدث.

التكبير الجماعي قالوا: كذلك.

إذن الصورة من الوسائل التي أدخلوها في الدين هي منطبقة علىٰ أحكام كبيرة، والقاعدة واحدة، فهي منطبق عليها حد المحدث وحد البدعة، وما كان كذلك فيصدق عليه قول النبي ﷺ: كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

هٰذا إذا كانت سلمية، إذا كانت سلمية.

أما إذا كانت ليست سلمية، وإنما فيها اعتداء علىٰ الناس أو كسر لأملاك المسلمين أو ضرب أو نحو ذلك، فهٰذا يدخل في نوع أنواع أخرىٰ من المنع، فتحرم لأجل ما يترتب عليها من اعتداء علىٰ الأنفس أو الأعراض أو علىٰ الأموال والممتلكات، وهناك تفاصيل أخرىٰ يضيق المقام عن ذكرها.

فضيلة الشيخ نسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يعلي قدركم ويجزل لكم الشكر ورفع الدرجات يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

ونحيطكم علما بأن كثيرا من الأسئلة التي وصلتنا تصدر بقول: نحبكم في الله تبارك وتعالىٰ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أحبكم الله جميعا الذي أحببتمونا فيه نسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم علىٰ نصرة هٰذا الدين والدعوة إليه علىٰ وفق منهج السلف الصالح إنه سبحانه هو أكرم مسؤول.

نشكر الإخوة في جمعية إحياء التراث علىٰ مشاركتهم هٰذه الليلة والآن ننتقل إلىٰ الإخوة في الجوف لعرض الأسئلة .

نعرض سؤال حتىٰ يأتي الاتصال:

سؤال (٧): ما هي أسباب الحملة الشعواء علىٰ دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب خصوصا من أناس من بني جلدتنا؟ وجزاكم الله خيرا

الجواب: أسباب متنوعة، قد يكون هناك هوىٰ، وقد يكون هناك جهل وعدم فهم.

والدعوة كغيرها من الدعوات المصلحين لها من يحبها ولها يواليها، ولها من يبغضها ويعاديها أو ينتقدها.

فالشأن ليس في وجود المخالف، الشأن في أن هٰذه الدعوة واضحة بينة علىٰ إرث عظيم من دعوة أئمة الإسلام والسلف الصالحين.

ظاهر الدعوة -ولله الحمد- متابعة السنة والدعوة إليها والاجتهادات فيما لم يرد فيه الدليل،

والحمد لله أثرها بالغ ما أتينا مكانا في العالم إلا ووجدنا فيه من ينصر هٰذه الدعوة السلفية ولله الحمد.

فهي منتشرة لا يضرها كلام متكلم، أو عدم إنصاف مجحف؛ بل هي سائرة بإذن الله تعالىٰ، والله جل وعلا يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الفرقان]، ويقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[الكوثر].

سؤال (٨): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله معالي الشيخ، يقول السائل: هل الخوارج كفار بالعموم ؟

الجواب: أهل العلم لهم في الخوارج ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنهم كفار.

والثاني: أنهم ليسوا بكفار.

والثَّالث: التوقف.

أما من قال: إنهم كفار، فأخذوا بظاهر قول النبي ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، وبقوله: «إنَّهم كلاب أهل النَّار».

والقول الثاني وهو أنهم ليسوا بكفار؛ بل لهم حكم عصاة المسلمين، هٰذا هو قول جمهور أهل العلم والذي عليه هل التحقيق؛ وذلك لأن الأصل الإسلام، وسلب الإيمان يحتاج إلىٰ دليل قوي ظاهر بمنزلة الدليل الذي دخلوا به في الدين، ولم يثبت في حقِّهم الشرك والكفر، وأحد نواقض الإسلام، لذلك لما سئل عنهم علي رضي الله عنه عن الخوارج الحرورية أكفَّارٌ هم، قال: من الكفر فروا؟ فهم غلاة مجرمون لهم نصيب من الوعيد فيمن خرج عن الدين، وفي قلوبهم زيغ وضلال، قاتلوا الصحابة، وقتلوا المسلمين، وحرفوا في دين الله جل وعلا، واعتقدوا اعتقادات باطلة؛ لٰكن لا يحكم بكفرهم كطائفة.

سؤال (٩): ما الفرق بين الولاء والتولي؟ أرجو التوضيح، وهل .. مع الكفار من الولاء والتولي؟ وجزاكم الله خيرا.

الجواب: الولاء هو الاسم العام، ومعناه إعطاء المحبة والنصرة، ويدخل تحته أقسام.

وهٰذه الأقسام من أهل العلم من قسمها إلىٰ هٰذه الأقسام من جهة الاجتهاد، ولا مشاحة في الاجتهاد وفي الاصطلاح، قالوا: من أقسامها:

أن الولاء منه ما هو تولي، ومنه ما هو موالاة.

والموالاة يدخل فيها المودة، ونحو ذلك.

قال الله جل وعلا في التولي: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ﴾[المائدة:٥١].

وقال في الموالاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١].

وظاهر الحديث يدل علىٰ أنه ليس كل إعطاء موالاة يكون مخرجا من الإيمان، ومن ضمن الأدلة في ذلك دليل حاطب وسبب نزول سورة الممتحنة، فإن الله جل وعلا قال عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ثم قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ

أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾[الممتحنة].

فدلت الآية علىٰ أن هؤلاء المؤمنين وهم الصحابة منهم من ألقىٰ المودة، واتخذهم أولياء، وأسرّ إليهم المودة، وحال أولئك أنهم معادون كفار في حال قتال. قال أهل العلم: فدل علىٰ أن إلقاء المودة للكفار في مثل هٰذه الحال أنه ليس كفرا؛ لأن الآية نادتهم باسم الإيمان قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ما دام أنه جل وعلا ناداه باسم الإيمان دل علىٰ أن الفعل لم يخرجهم من مسمىٰ الإيمان، لهٰذا في «الصحيحين» في قصة حاطب رضي الله عنه أنه لما فعل ما فعل واطلع النبي ﷺ علىٰ فعله وخبره وأنه أرسل إلىٰ الكفار يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هٰذا فقد نافق. قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «يا عمر دعه أو أرسله، يا حاطب» -توجه بالسؤال لحاطب- «ما حملك علىٰ هٰذا؟ فقال: يا رسول الله ما من أحد من أصحابك إلا وله يد في مكة يدفع بها عن أهله وماله وليس لي يد فأردت أن أكون بذلك لي يد. فقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «صدقكم إن الله اطلع علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فدلت هٰذه القصة علىٰ فوائد:

أولا أن هٰذا المقام مقام الموالاة الظاهرة في مثل هٰذه الحال أنها تحتاج إلىٰ استفصال، مقام حرب وإخبار بسر ونحو ذلك تحتاج إلىٰ استفصال، وليس مطلق الموالاة في مثل هٰذه الحال أنها كفر وردة؛ بل يحتاج إلىٰ استفصال، فلما استفصل النبي ﷺ حاطب قال: إن هدفه الدنيا وليس رجوعا عن الإيمان إلىٰ الكفر، فصدَّقه النبي ﷺ بذلك.

فإذن التولي وهو مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين هٰذا كفر، وناقض من نواقض الإسلام.

ومعنىٰ المظاهرة أن يكون لهم ظهرًا ورِدءا يدفع عنهم الغوائل.

والقسم الثاني الموالاة، والموالاة لها أقسام كثيرة جدا، حتىٰ منها ما يدخل في إلقاء المودة والحب لأجل الدنيا فيكون بعض أقسام تلك ليس داخلا في المنهي عنه أصلا إذا كان لغرض دنيوي بحت كمحبة أو مودة طبيب أحسن إليك، أو مودة المسلم لزوجته الكتابية ونحو ذلك، فإذا وُجدت المودة لكافر لا لأجل كفره، ولٰكن لأجل صفة فيه يحبُّها الإنسان مثل حب امرأة تزوّجها أو حب طبيب أو مودة طبيب أحسن إليه، أو من أنقذه من هلكة، مما يكون من مقتضىٰ الطبيعة، فهٰذا لأمر خارج للأمر الديني هو لأمر طبيعي ظاهري، وما كان لأجل الأمور الظاهرية الطبيعية، فإنه لا ينهىٰ عنه فضلا أن يكون من مما يدخل في المكفِّر.

سؤال (١٠): هل يجوز بيع العملة بعملة أخرىٰ مع أخذ الفائدة؟

الجواب: هٰذا سؤال فقهي والأفضل أن يسأل فيه أهل الإفتاء؛ لٰكن أجيب عليه لعلكم لا تكثرون بالأسئلة الفقهية.

استبدال عملة بعملة يدخل في عموم قول النبي ﷺ: «فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد» يعني حصل التقابض فإن اختلاف الصنف يجيز التفاضل.

إلا إذا كان الصنف واحدًا، هنا اختلف أهل العلم.

مثال الأول مثلا: الريال بدولار، أو ريال سعودي بدينار كويتي، السعر في السوق الدينار الكويتي بـ٥, ١٢ ريال، جاء واحد وقال: أنا عندي دنانير لا أبيعك إلا بـ١٥. هٰذا جائز؛ لأن الصنف مختلف، والتقابض حاصل، ولا يلزم أن يكون بسعر السوق.

واحد يشتري دولارات يريد أن يسافر الآن، البنوك مغلقة، وما يريد أن يذهب يصرف، أنا محتاج الان لألف دولار وسعره ثلاثة آلف وسبعمائة وخمسين، قال: أعطيك أربعة آلاف وأعطيني الألف دولار. هٰذا جائز لأنه اختلاف في الصنف مع التقابض.

لٰكن إذا كان هناك صنف واحد فهٰذا اختلف فيها أهل العلم مثل ريالات ورق بمعدن، أو فئة خمسمائة بفئات بما هو أقل ونحو ذلك، فهٰذه فيها اختلاف بين أهل العلم لٰكن الصحيح عندي أنه في هٰذه الحالة لا يجوز التقابل؛ لأن الجنس واحد، صنف واحد، كل النبي ﷺ يقول إذا اختلفت الأصناف هٰذا كله ريال ريال سعودي.

والثمنية لم تأت من أن هذا ورق من فئة كذا وهٰذا ورق من فئة كذا، وهٰذا ورق وهٰذا معدن، لم تأت الثمنية من هذه الجهة.

أتت الثمنية من الاصطلاح، الدولة جعلت اصطلاحا هٰذه الورقة هي فئة خمسمائة، ممكن يعملون ورقة أكبر منها خمس مرات، يقولون هٰذه ريال، ليست الثمنية في الورق، الثمنية في الاصطلاح الجنس واحد، فلا يجوز التفاضل في صرف الريال.

سؤال (١١): لماذا كثرت كتب الردود في مؤلفات أئمة الدعوة رحمهم الله؟ وهل صحيح أن كتب الردود تقصي القلوب؟

الجواب: أولا يعلم أن رد الباطل، وتفنيد الحجج هٰذا في القرآن.

الله جل وعلا حجاج المشركين وما يستدلون به في المسائل العقدية وفي المسائل الفقهية؛ رد عليهم جل وعلا ببيان الدين في ذلك.

ففي المسائل العقدية في توحيد ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[ص].

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس] الآيات في ذكر ما اعتمد عليه المشركون في شركهم بالله جل وعلا.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣] مسألة الشفاعة أبطلها الله جل وعلا في سورة الزمر.

كذلك المسائل الفقهية ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[البقرة:٢٧٥] رد الله جل وعلا عليهم.

في مسألة الذبح في سورة الأنعام حينما قالوا: إن ما ذبحه الله أحل مما ذبحناه، يعني أن الميتة أحل مما ذبح وذكي، فرد الله جل وعلا عليهم.

إذن فالأصل في الرد أنه شرعي ومطلوب لأنه يوضح الحجة في جواب تلك الأشياء، وجواب تلك الحجج الباطلة التي يحتج بها المخالفون أو المشركون أو الضالون، كلٌّ علىٰ حسبه.

إذا كان الأمر كذلك فالردود سنة ماضية من وقت السلف وهناك كتب رد سواء في المسائل الفقهية أو في المسائل العقدية.

المسائل الفقهية فيه رد فيه رد علىٰ الإمام مالك، فيه رد علىٰ أبي يوسف فيه محاكمة بين فلان وفلان.

المسائل العقدية رد علىٰ بشر المريسي، رد علىٰ فلان، الرد علىٰ فلان وهكذا فيه.

الوقت الذي تشتد الحاجة فيه بالرد علىٰ خصوم أثروا هنا لابد من الرد، رد شيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ فئات من الناس رد علىٰ الفلاسفة، ورد علىٰ غلاة الصوفية، ورد علىٰ الشيعة.

إذن إذا كان هناك بحاجة دينية فإن هٰذا من إيضاح الحق وإقامة الحجة وإنكار المنكر أن يرد علىٰ المبطل.

كذلك في وقت أئمة الدعوة رحمهم الله تعالىٰ لما قام الإمام المصلح الشيخ بالدعوة السلفية ورد عليه كير من خصومه فانتدب عدد من علماء الدعوة أنفسهم إلىٰ أن يردوا علىٰ هؤلاء لإيضاح الحق وبيان ما لبسوا به علىٰ الناس هٰذه سنة ماضية.

هنا المبالغة في طلب العلم عن طريق الردود ليس من سمة أهل العلم، العلم يطلب عن طريق الكتاب والسنة، كلام أهل العلم ما فصلوا فيه من المسائل، كتب الشروح الفتاوىٰ ونحو ذلك.

أما الرد فهو لرد الشبهة ما يقال فإنه يتعلم لكي عرف كيف يرد علىٰ الناس إذا أوردوا مثل هٰذه الشبه.

فإذن كتب الردود لا تلغىٰ، ولا يبالغ فيها، مبالغة فيها هم الإنسان فقد يرد أو أنه لا يتلقىٰ العلم إلا عن كتب الردود، هٰذا يعطي شيئا من عدم التوافق في فهم الدين أو فهم الدعوة وكذلك في فهم الأمور.

فإذن هي تؤخذ بقدرها لأنها جزء من إنكار المنكر وكما تعلمون لو يأتي واحد اليوم، ويقول أنا آخذ الدين من إنكار المنكر ولن يكون عنده دعوة للخير ولا أمر بالمعروف ولا فقه في دين الله؛ لٰكن فقط أقتصر علىٰ إنكار المنكر سيكون عنده صواب كثير؛ لٰكن يفوته من الدين الكثير أيضا، لهٰذا يعطىٰ كل شيء بحسبه والتوازن دائما هو في نفس أهل العلم والصالحين.

سؤال (١٢): نريد تفصيلا في حكم معاونة ومظاهرة المشركين، هل هي تخرج من الملة لأن هٰذا من الأمور التي كثر الكلام فيها؟

الجواب: سبق أني أجبت علىٰ السؤال.

سؤال (١٣): هل يجوز أن نتسمىٰ بالسلفية؟

الجواب: أولا يجب أن يُعلَم أنّ الإسلام لمَّا صار هو سمة المستجيبين للنبي ﷺ ألغيت الأسماء التي كانت عندهم إلا اسم الإسلام، قال الله جل وعلا: ﴿**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا**﴾ [الحج:٧٨]، فاسم المسلمين والمؤمنين هٰذه أسماء شرعية هي الأسماء التي يقال عنها أسماء شرعية؛ لأنها جاءت نصا.

هناك أسماء أُخَر للتعريف، هذه الأسماء التعريفية لا بأس بها ما لم تؤدِّ إلىٰ مفسَدة.

من أعظم الأسماء التعريفية: اسم **المهاجرين واسم الأنصار**. فهما اسمان نصَّ الله جل وعلا عليهما

في القرآن، بل هو سمىٰ المهاجرين وسمىٰ الأنصار.

لمّا حصل التعصّب في المؤمنين لاسم (المهاجرين) وحصل التعصب من الأنصار لاسم (الأنصار) صارت جاهلية لمَّا كان في أحد الغزوات منصرفين منها اختلف غلامان، يعني صارت مشادّة ومطاقة بين غلام مهاجري وغلام أنصاري، فقال المهاجري: ياللمهاجرين -يعني نخوة، ينتخي بالمهاجرين، يطلبهم-، وقال الأنصاري: ياللأنصار، فاجتمع المهاجرين واجتمع الأنصار كلٌّ يريد أن ينصر من دعاه بهذا الاسم، فغضب النبي ﷺ وقال: «أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» فدلّ علىٰ أن التعصب والولاء لاسم دون غيره هٰذا خرج به عن مقتضىٰ التعريف إلىٰ التعصب له والولاء عليه والدعوة للمناصرة الخاصة به، فدلَّ علىٰ أنَّ هذا مطَّرحٌ شرعا ومذموم؛ مع أن اسم المهاجرين شرعيّ واسم الأنصار شرعي.

تطاول الزمن، جاءت أسماء مثل الحنفية، الشافعية، الحنابلة، المالكية، أسماء أقرَّها أهل العلم لمَّا ظهرت للتعريف بها، يُعرَف أنّ هؤلاء يمثِّلون مدرسة التي تتبع الإمام مالك، يمثّلون المدرسة التي تتبع الإمام الشافعي، يأخذون بفقهه.

لكن لمَّا آل الأمر إلىٰ أن يتعصب الشافعية للشافعية ويعطُون الولاء لها، ويتعصب الحنفية لها ويتعصب المالكية لها حتىٰ يُلغون الآخر بمعنىٰ أنهم لا يَعرفون الحق إلا عندهم دون غيرهم ويُبطِلون غيره؛ حصلت مشاحنات فتحوَّلت من اسم تعريفي إلىٰ اسم يوالىٰ عليه ويعادىٰ.

مثل ما ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» قال: وفي رحلتي إلىٰ أرض خرسان مررتُ ببلد سماها -أنا نسيت، عهدي بها بعيد- مررتُ ببلد فيها طائفة من الحنفية وطائفة من الشافعية، وكان بينهما من الكره والبغضاء ما أيقنتُ أنهم سيتقاتلون معه.

قال: فغبتُ، ثم في رجعتي من الرحلة -يعني بعد سنين- قال: مررت بتلك البلد فلم أرَ فيها أحدا يُذكَر، فسألت فقالوا: وقعت بينهم مَقتَلة فتفرَّقوا.

السبب: أنه تحوَّل الاسم من التعريف إلىٰ التعصب عليه، إلىٰ أن يكون مساويًا لاسم المسلمين يوالىٰ عليه ويعادىٰ، فهذا أدّىٰ إلىٰ هذا المنكَر العظيم.

ثم آل الأمر إلىٰ أسماء أُخَر تعريفية أُقِرَّ بها من جهة التعريف. إذا تبيَّن ذلك هنا نأتي إلىٰ سؤال وهو **اسم السلفية؟**

اسم السلفية هو اسمٌ حادِث؛ بمعنىٰ أنه أُطلِق علىٰ من كان يتَّبع السلف الصالح في الاعتقاد وفي السلوك وفي العمل لمَّا كثرت الفئات الأخرىٰ المنحرفة عن نهج السلف الصالح مثل: المرجئة والمعتزلة والجهمية والأشاعرة والكرَّامية والصوفية..إلخ من الفئات.

صار بالمقابل -هٰذه أسماء فئات تعريفية- سُمِيَ من لزم السنة وطريقة السلف الصالح ولم يخرج عن مقتضىٰ الدليل سُمِّي بعدة أسماء، منهم من سمَّىٰ هؤلاء: السلف، ومنهم من سماها السلفية، ومنهم من سماها أهل السنة والجماعة، ومنهم من سماها الجماعة، منهم من سماها أهل الحديث، ونحو ذلك.

فهو اسم للتعريف يبيِّن أن هذه الفئة هي التي حرصت علىٰ السنة وحافظت عليها وتركت البدع والأهواء ونصرت قول أئمة السُّنَّة من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم.

فهم يُحمَدون علىٰ هٰذا المسلَك ويؤجرون عليه.

لكن السَّلفية من جملة المسلمين، فهناك مِن المسلمين مَن هو مسلم بطبيعته لو دَقَّقت فيه فهو سلفي من حيث ما هو عليه، وكذلك ممَّن هو منتمي إلىٰ بعض التيَّارات، إذا أتيت إلىٰ معتقده وما هو عليه يكون هو سلفيا في الجملة أوعنده كثير من متابعة السلف ونحو ذلك..

هنا نقول :إذا تحوَّلت هذه الأسماء إلىٰ أحزاب، صارت السَّلفية حزبًا يوالىٰ عليها ويعادىٰ، صار أهل الحديث حزبًا يوالىٰ عليهم ويعادىٰ، فهذا الاسم له نصيب من الموالاة والمعاداة علىٰ اسم المهاجرين أو علىٰ اسم الأنصار، فلا يَسوغ.

أما إذا كانت للتعريف بهم وأنهم أهل الحق في دين الله جل وعلا والمتَّبعون للسنة والمناصرون لها من هذه الجهة وفيهم كما وصف الشيخ الإسلام ابن تيمية -في آخر «الواسطية»- فيهم من الصفات أنهم أهل الرحمة بالمؤمنين، وأهل النصيحة لهم، وأهل الصلاح، وقيام الليل وعبادة الله -جل وعلا- وأهل الأخلاق الفاضلة والصدق وترك الكذب ومجانبة الباطل والحرص علىٰ الحق. فهؤلاء هم الذين فعلًا نرىٰ بما فيهم من الصفات أنهم الأحق بوصف النبي ﷺ بقوله: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وبقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠].

فكل من تبع السلف بهذا المعتقد بالإحسان فله نصيب من أن يكون معهم.

أما الموالاة والمعاداة والطعن هذا، يطعن فيه لأجل أنه ليس منتميا لهذه الفئة، لا، إنما يُذَم الناس ويمدَحون علىٰ الإسلام وليس علىٰ شعارٍ آخر.

سؤال (١٤): نختم بهذا السؤال، هٰذا سائل يقول: ما يدعيه البعض أن علماء هٰذا البلد لا فقهون الواقع ويقول: اسأل أحد كبار العلماء عن قضية معاصرة فلن يجيب.

الجواب: يعني غيرهم لو سألناهم عن قضية معاصرة يجيب؟ ما هم بمجيبين.

الأمة متكاملة، يكمِّل بعضهم بعضا، وجود إنسان يعلم كل شيء ما يفوته شيء فقيه بالشرع مجتهد عالم بألأدلة وعالم بالاجتهادات ويعرف كل المجريات العصرية بتفاصيلها السياسية والإقتصادية والإدارية وما يجري في الغرب والمخططات... هٰذا خيال.

الأمة متكاملة، إذا تصورنا عالم هو القدوة وهو الإمام أو قائد للأمة مسؤول أو رئيس أو ملك أنه يفقه كل شيء بمفرده، هٰذا معناه إلغاء للجميع. هٰذا ما يقوله أحد، أو وزير في وزارته، أو مسؤول في مسؤوليته.

الأمة تقوم علىٰ مبدأ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[المائدة:٢] ما يمكن أنه يتصور إنسان توجد فيه الخصال كلها.

إلا في بعض الفئات بعض الفئات الدعوية يرون أن رئيسهم أو مرشدهم هو الذي يجمع كل شيء فاهم كل حاجة.

هٰذا خيال ليس موجودا لا في الواقع، وليس بمقبول أن يدعىٰ في بشر هٰذا النوع من الكمال.

لذلك لا يعيب الإنسان العالم، لا يعيب القائد، لا يعيب الداعية، لا يعيب أنه لا يحيط بكل شيء بل بالعكس من كماله أنه البشري أنه لا يدعي أنه يحيط بكل شيء إذا كان كذلك، فالأمة متعاونة العالم إذا احتاج إلىٰ أمر من هٰذه الأمور يستشير ذوي الخبرة ويسأل ما عندهم.

أما اليوم صارت المسألة مسألة ثقافة وكلام مثلا أجي للمجلس وأتكلم في كل شيء، ما شاء الله عنده، مثقف وعنده معلومات يعرف يحرك في كل شيء، وإذا تكلم ما سكت، وإذا سئل...

هٰذا يا إخوان هٰذا من سيئات العصر صحيح أن الأمة تتكامل، فيه احترام للتخصصات، عالم يكون له قوة في مسائله العلمية وله قدرة علىٰ الدخول في المسائل العلمية لحماية الدين الذي هو أعظم كل شيء من أي شيء، حماية وراثة الأنبياء، إذا جاءت مسائل أخرىٰ يحتاج.

مسائل متعلقة بالبنوك، يأتي لأهل الاختصاص ما شأن هٰذه البطاقات، ما شأن وضع البنوك هٰذا العقد نقرؤه ونفصل فيه يسألهم ما يترتب علىٰ ذلك.

أيضا يسأل عن الشأن العام ويكون عنده من الأدوات ما يميز به.

كذلك الشأن بما هو أعظم وجود سواء علمي أو قائد دعوي بدون أن يكون حوله من يعينه، هٰذا غير متصور، وهو ضرب في الخيال، لذلك نحن أمة متكاملة إذا سعينا في مثل هٰذا الذي سأل أن بعضنا يقدح في بعض فمعنىٰ ذلك أننا نتطلب بشرا لا يوجدون إلا في الذهن، في الخيال.

لٰكِن الحقيقة أننا نتكامل، بعضنا يكمل بعضا، أهل التخصص في تخصصهم، يساعد بعضهم بعضا، أهل العلم يستشيرون من هو عنده شيء من ذلك.

لٰكِن القدح في مثل هٰذه الصورة ليس المقصود منه الحق في نفسه، إنما المقصود منه أن تهتز ثقة الناس بأهل العلم.

والناس سيلتقون عند ربهم جل وعلا سيحاسب كل أحد علىٰ أقواله وأعماله.

قدح في أهل العلم، هٰذا يؤول إلىٰ أن الناس لا يحبون الدين، هٰذا العالم فيه كذا، معنىٰ ذلك الذين يحملون الدين ليسوا كما ينبغي.

والمقابل أهل العلم يعلمون من سوءات من يقدح فيهم العلمية والفكرية الذهنية ما لو تكلموا به لا عوقب أو لسقط أولئك؛ لٰكِن عندهم يحميهم ورع وتقوىٰ، أنهم لا يريدون أن يعاملوا المبطل بمثل الحال، يعاملوا من يقدح بالقدح، ليس كل من قال: فلان من االعلماء أو كذا أنه فيه كذا أو كذا أقدح فيه بمثل ما قدح أو أذكر فيه ما أعلم أو أتتبع عوراته في كلامه أو في مسائله العلمية وأنشرها، هٰذه مسألة سهلة لكنها لا تجوز. فمن ظلمنا لا نظلمه، ومن أساء إلينا نعفو عنه.

وهٰذا الذي يجب أن نكون أمة متراحمة متكاملة حتىٰ يقوىٰ الدين والخير، وأما إذا صار مثل هٰذا القدح فإنه يضعف ويضعف ويضعف.

وأنتم ترون الآثار يعني إذا حللنا آثار ضعف الناس في الدين فيه أسباب كثيرة، من الأسباب أنها أضعفت هيبة ومكانة العلماء في الناس، صار في الجرائد يتجرؤون عليهم، وفي المجالس يتجرؤون

عليهم، وفي كذا ويقدح، طبعا الناس يسمعون، إذا ما يثق في العالم هو لـن يثـق في الـدين نفسـه، لـن يثـق في التدين؛ لأنه يصبح: اعمل ما تشاء إلىٰ آخره من الكلمات التي يرددها بعض العامة.

أسأل الله جل وعلا أن يوفِّق ولاة أمورنا إلىٰ ما فيه الخير، وأن يجـزيهم عنـا خيـرا، وأن يوفـق علماءنـا إلىٰ ما فيه عز الإسلام وصلاح المسلمين وأن يجزيهم عنا خيرا، وأن يهـدي ضـال المسـلمين وأن يجنبنـا الزلل والزغل في القول والعمل.